أغراض نماذج

قوارب عصر ما قبل الأسرات بالمعادى

للدكتور فتحى عفيفى بدوى

مدرس تاريخ قديم
قسم التاريخ والحضارة
كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر

فى منتصف ديسمبر عام ١٩٧٦ كلفتنى كلية الآداب — جامعة القاهرة باستئناف أعمال حفائر الموسم الثانى عشر بمنطقة المعادى الأثرية . وهى الأعمال التى توقفت عقب انتهاء الموسم الحادى عشر فى شتاء عام ١٩٤٨ . والتى كان يشرف عليها الجغرافى الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور مصطفى عامر[١] . وعلى مدى ثلاثة أسابيع من الجهد المتواصل، تم الكشف عن جزء من المنطقة السكنية لقرية المعادى تقدر مساحته بحوالى ١٢٥ م٢ . ويقع فى الاتجاه الشرقى للمنطقة وعلى امتداد الأجزاء التى سبق الحفر فيها من قبل . وكان التوفيق حليف العمل إلى حد كبير ، إذ استطعنا أن نصل إلى نتائج هامة سيتم نشرها عقب الانتهاء من أعمال الفحص الأثرى الجارية الآن بالمنطقة . وأهم ما يسترعى الانتباه ضمن ما عثر عليه من بقايا أثرية عديدة أربعة نماذج صغيرة تمثل قوارب بالإضافة إلى نموذج آخر سبق العثور عليه أثناء حفائر الموسم الخامس عام ١٩٣٥ ،وجدت جميعها غير كاملة وملقاه داخل رديم الطبقات بالمنطقة السكنية ومختلطة مع قطع الشقف ، وهى جميعها تدعونا إلى ضرورة مواصلة البحث

العلمى لمعرفة المزيد عن الأغراض التى كانت تخدمها هذه النماذج خلال عصر ما قبل التاريخ . هذه النماذج هى :

١ – نموذج صغير لقارب من الفخار الأحمر ، جيد الحرق ، عثر عليه فى المربع رقم ٢٠١ أثناء رفع رديم الطبقة ٢٠ – ٤٠ سم تحت السطح العلوى . وهو غير كامل . حيث لم يتبق منه سوى نصفه الذى يتكون من المقدمة التى ترتفع إلى أعلا وتميل فى إستدارة خفيفة نحو الداخل . والقاع المستوى والجانبين الغير مرتفعين . الطول ٧٫٥ سم . العرض ٢٫٦ سم – (لوحة ا : ١ – ٣) .

٢ – نموذج صغير لقارب من الفخار الأحمر . غير جيد الحرق ، عثر عليه فى المربع ٢٠٣ أثناء رفع رديم الطبقة ٦٠ ــ ٨٠ سم تحت السطح العلوى، وهو غير كامل ، حيث لم يتبق منه سوى جزء من القاع منبسط قليلا والمقدمة المدببة والمرتفعة فى استدارة بسيطة إلى أعلا . وبقايا الجانبين . ويلاحظ وجود بقايا ثقبين متقابلين على كلا الجانبين بالقرب من المقدمة . الطول ١٠ سم – العرض ٤ سم . (لوحة ا : ٤) .

٣ – نموذج صغير لقارب من قرن الحيوان . عثر عليه داخل المربع ٢٠١ أثناء رفع رديم الطبقة ٢٠ ــ ٤٠ سم تحت السطح العلوى حيث لم يبق منه سوى جزء من القاع المدبب وأجزاء من كلا الجانبين . الطول ٧٫٥ سم ــ العرض ٢٫٥ سم . (لوحة ا : ٥ ــ ٦) .

٤ ــ نموذج صغير لقارب من الفخار الأحمر . عثر عليه داخل المربع ٢٠١ أثناء رفع رديم الطبقة ٢٠ ــ ٤٠ سم تحت السطح العلوى . وهو غير كامل ، حيث لم يتبق منه سوى جزء من القاع المتبسط . وبقايا الجانبين . الطول ١٣ سم – العرض ٣٫٥ سم . (لوحة ا : ٧) .

٥ ــ نموذج متوسط الحجم لقارب من الفخار الأحمر الجيد الحرق عثر عليه أثناء حفائر الموسم الخامس عام ١٩٣٥ . داخل رديم الطبقة ٢٠ ــ ٤٠ سم تحت السطح العلوى . لم يتبق منـــه سوى نصفه الذى يتكون من المقدمة المرتفعة قليلا إلى أعلى وتنتهى ببروز بسيط نحو الخارج . والجانبين الكاملين فى ارتفاعهما . والقاع المبسط الذى يحتوى من الداخل على حافة ترتفع قليلا عند الوسط وتمتد بطول النموذج . الطول ١٣٫٤ سم ــ العرض ٥٫٨ سم ــ الارتفاع ٧ سم . (لوحة ب : ١ ــ ٢) .

التعليق :

مما لا شك فيه أن نشأة الملاحة النهرية فوق سطح النيل ترجع بجذورها إلى أقدم العصور[٢] . عندما بدأ المصرى خبرته فى هذا المجال ممتطيا جذع شجرة ، ثم تطور بتفكيره فأقدم على ربط عدد من الجذوع جنباً إلى جنب مبتكراً بذلك الطوف . ولا شك فى أن الطوف كان يتم تحريكه بالعصى الطويلة ، لكنه ظل صعب التشغيل لثقل وزنه الأمر الذى دفع الإنسان إلى ضرورة إستخدام مواد خفيفة متوفرة فى البيئة مثل جلود الحيوان المملوءة بالهواء[٣] ، وأعواد البردى وسيقان البوص ، ورغم أنه لم يعثر على بقايا أثرية تدل على وجود الملاحة النهرية خلال العصر الحجرى القديم[٤] إلا أن هناك ما يشير إلى وجودها خلال العصر الحجرى الحديث ، فقد عثر فى قرية مرمدة بنى سلامة على نموذج صغير لقارب من الطين[٥] . (لوحة ب : ٣) هذا النموذج يعتبر بدوره من أقدم الشواهد على تطوير المصرى القديم لوسائله الأولى فى مجال الملاحة النهرية إلى شكل القارب ، ولا شك فى أنه كان لابتكار صناعة القوارب ولانتشار استخدامها ضرورة حتمت وجودها عوامل رئيسية منها سهولة الانتقال والحركة من مكان لآخر فوق سطح النيل ، وكذلك التوسع فى صيد الأسماك والطيور المائية وصناعة الشباك . وهى الحرفة التى ظلت تحتل مركزاً هاماً فى الحياة الاقتصادية خلال عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور التاريخية المتأخرة ، وتعتبر نماذج القوارب التى عثر عليها فى قرية المعادى من

أبرز المعالم التى تشير إلى مقدار تأثر أهل المعادى بالبيئة المحيطة بهم . تلك البيئة القريبة من مجرى نهر النيل والمملوءة بالأحراش والبحيرات الصغيرة والفروع المائية المتعددة[٦] ، وكل ما تحويه من طيور برية وأسماك نيلية متنوعة ، وهى بلا شك تتطلب من سكانها ضرورة الاعتماد فى حياتهم الاقتصادية على القارب إلى حد بعيد[٧] ، وعلى الرغم من أنه لم يعثر حتى الآن على بقايا هذه القوارب إلا أن العثور على النماذج الخمس المشار إليها لخير دليل على وجودها ، خصوصاً وأنها فى الغالب تعتبر بمثابة تقليداً لمثيلاتها الأصلية المألوفة لديهم[٨] والتى ربما نعثر على بقاياها مستقبلا[٩] .

والتساؤل الذى نحن بصدده الآن هو ضرورة البحث عن تفسير معقول يوضح الغرض الذى من أجله صنعت هذه النماذج التى وجـــدت داخل المنطقة السكنية، وإذا ما حاولنا ذلك فسنجد أمامنا احتمالين لكل منهما مايضعفه وما يقويه :

الأول : إذ يحتمل معه أن هذه النماذج تخـــدم أغراضاً دنيوية بحته كأن تكون قطع فنية صغيرة أراد أصحابها الاحتفاظ بها داخل الأكواخ ، أو ربما لعب قصد منها تسلية الأطفال على أساس أنها نماذج مصغرة للقوارب الحقيقية . وهو ما يتفق مع ما ذكره يونكر فى تفسيره لنموذج قارب مرمدة بنى سلامة [١٠] ، ويرجحه إلى حـــد كبير وجود الثقبين على جانبى أحد نماذج المعادى لتسهيل غرض رفعها وتعليقها إذ مادعت الحاجة (لوحة ا : ٤ ، لوحة ب : ٣) .

الثانى : إذ يحتمل معه أن هذه النماذج تخدم أغراضاً عقائدية معينة ، كأن تكون مرتبطة بفكرة سحرية تتصل بالحياة اليومية أو ربما تكون قد أعدت لتوضع مع أصحابها عند الدفن ضمن ما سيتم نقله من أوانى فخارية وأسلحة حجرية داخل المقبرة ، ومما يلفت النظر أنه قد عثر على بعض النماذج المشابهة

فى منطقة لا تبعد أكثر من سبعة كيلو مترات إلى الجنوب من منطقة المعادى، ونقصد منطقة عزبة الوالدة والتى ترجع إلى عصر بداية الأسرات[11]. (لوحة ب: ٤ ـ ٦). وتمتاز نماذجها بأنها أكثر تقدما فى صناعتها وأكثر تنوعاً فى مواردها، ولكنها تختلف عن نماذج المعادى فى أماكن تواجدها. حيث أنه عثر عليها فى منطقة الجبانة داخل بعض المقابر وضمن محتوياتها بالقرب من الميت. كما عثر كذلك على بقايا القوارب الخشبية الكبيرة بداخل حفرها مدفونة بالقرب من المدخل الرئيسى لبعض هذه المقابر، ولا شك فى أن ذلك كله يؤكد الغرض العقائدى الذى من أجله وضعت تلك النماذج الصغيرة والقوارب الكبيرة داخل منطقة الجبانة، فإن صح هذا الغرض العقائدى بالنسبة لنماذج المعادى فلا بد وأنه كان الأصل الذى تطور فيما بعد لتحققه نماذج قوارب عزبة الوالدة.

ونحن إزاء ذلك لا نملك إلا أن نتريث قليلا، ذلك لأننا نعتقد أن أحد هذين الاحتمالين سيجد حتما من الأسانيد ما يزكيه لدرجة كبيرة، وسيتضح الغرض الذى من أجله صنعت هذه النماذج عندما نستكمل أعمال الحفر بمنطقة المساكن ومنطقة الجبانة التى لا زالت تنتظر منا الكثير من الجهد.

اللوحات

لوحة ا : تحتوى على رسومات لمجموعة من نماذج القوارب التى عثر عليها بالمنطقة السكنية بالمعادى وهى :

١ – ٣ : نموذج قارب غير كامل من الفخار الأحمر ، حيث ترتفع مقدمته إلى أعلا مع إنحاءة خفيفة إلى الداخل . مقياس الرسم ١ : ١ سم .

٤ : نموذج قارب غير كامل من الفخار ، حيث يظهر على جانبيه بقايا الثقبين . مقياس الرسم ١ : ١ سم .

٥ – ٦ : نموذج قارب غير كامل من قرن حيوان . مقياس الرسم ١ : ١ سم

٧ : نموذج قارب غير كامل من الفخار . لم يبق منه سوى القاع . مقياس الرسم ١ : ٢ سم .

لوحة ب : تحتوى على رسومات لمجموعة من نماذج قوارب عثر عليها فى بعض المناطق قرب الدلتا وهى :

١ – ٢ : نموذج قارب من الفخار عثر عليه بالمعادى عام ١٩٣٥ . مقيس الرسم ١ : ٢ سم .

٣ : نموذج قارب من الطمى عثر عليه على إنخفاض ١٤٠ سم داخل إحدى الطبقات السكنية بمرمدة بنى سلامة (غرب الدلتا) . مقياس الرسم ١ : ٢ سم .

٤ : نموذج قارب من الحجر على هيئة حزم البردى ، غير كامل . عثر عليه داخل أحدى مقابر عزبة الوالدة (شرق النيل) مقياس الرسم ١ : ١ سم .

٥ ٦ : نموذج قارب من العاج غير كامل ، عثر عليه داخل احدى مقابر عزبة الوالدة . مقياس الرسم ١ : ١ سم .

لوحة «١»

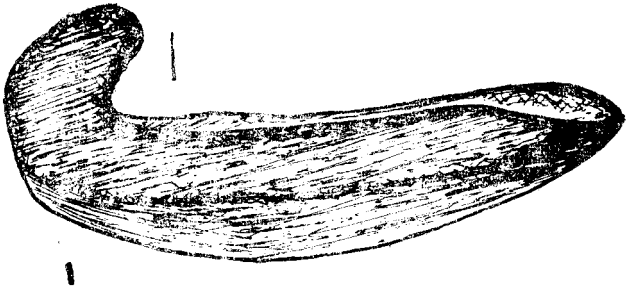

١

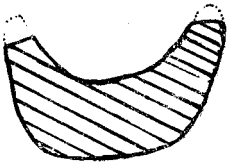

٢

٣

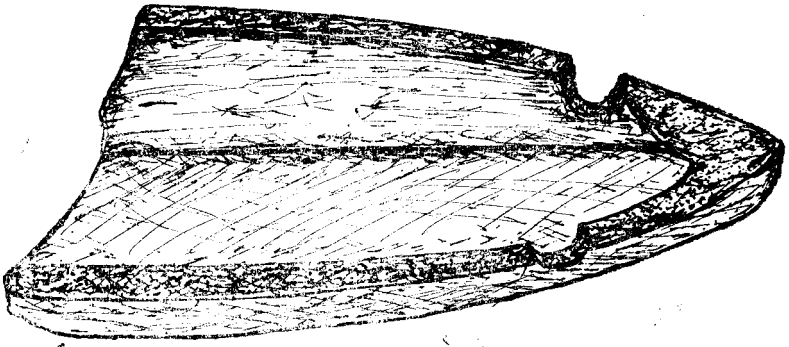

٤

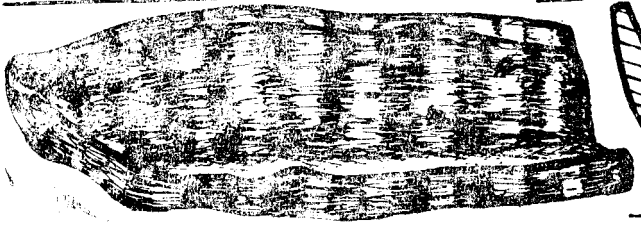

٥

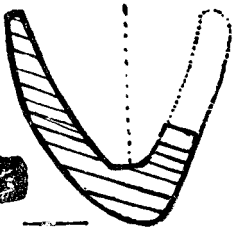

٦

٧

لوحة ٠٠

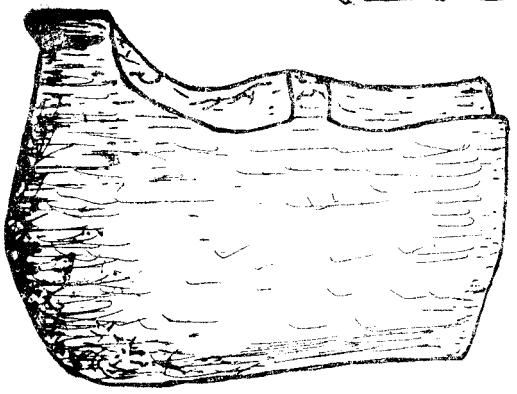

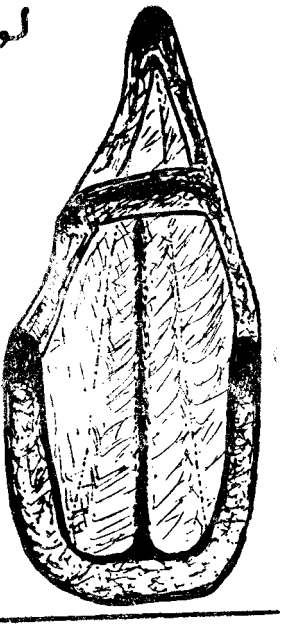

٢

٣

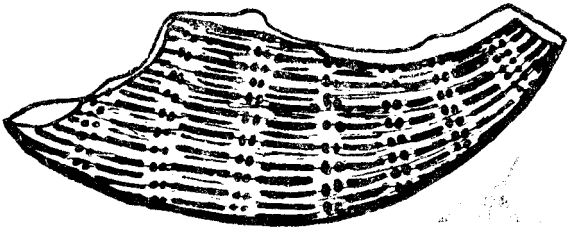

٤

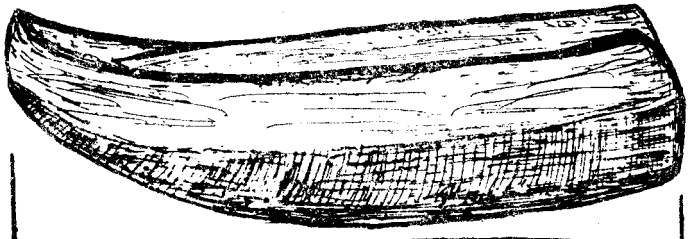

٥

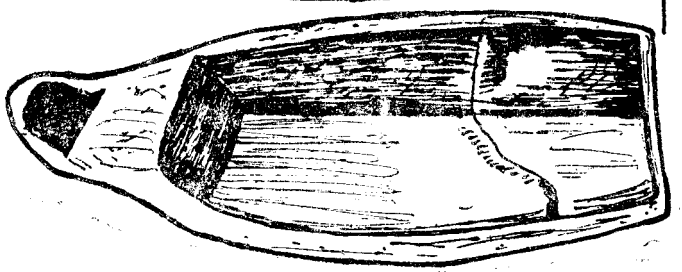

٦

الحواشى

(١) أول من بدأ العمل بمنطقة المعادى كل من بوفيه لابير والفريد لوكاس عام ٢٨ — ١٩٢٩ ثم :

O-Menghin and Mustafa Amer, The excavaions of the Egyptian University in the Neolithic site at Maadi : a) First Preliminary report (seasen 1930), Cairo, 1932; b) Second preliminary report (season 1932), Cairo, 1936; c) O. Menghin, Die Grabung der Universitat Kairo bei Maadi (III Grabungsjahr) apud Mit. Kairo, V (1934) p. 111 — 118.

(٢) محمد السيد غلاب ، يسرى الجوهرى : الجغرافيا التاريخية . القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٣٤٣ ، ٣٩٩

(٣) Lionel Casson, Ships and Seamanship in the ancient World 1976, p. 22.

(٤) W. Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, London 1920.

(٥) H. Junker, Vorlaufiger Bericht über die von der Akademie der Wissenschaften in Wien in Verbindung mit dem Egyptiska Museet in Stokholms unternommenen Grabungen auf der ueolithischen Siedlung von Merimde Benisalame von 2 Jänner bis 20 Februar, 1933, S. 82 — C.

(٦) عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٦٥

(٧) W. B. Emery, Ägypten, Geschichte u. Kultur der Frühzeit 3200—2800 V. chr., Müuchen 1964

(٨) A. Göttlicher u. W. Werner, Schiffsmodelle im alten Ägypten, Wiesbaden 1971, S. 6 — 7.

وأيضاً : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩٦

(٩) تم الانتهاء حتى الآن من الكشف فقط عن نصف القرية السكنية ، عدد ٦ مقابر من مساحة الجبانة التى تقدر بحوالى ١٢ فداناً .

(١٠) يونكر : المرجع السابق ، ص ٨٢

(١١) Z. Y. Saad, Royal Excavation at Helwan (1945—1947), Supplement aux Annales Du Service Des Antiquites Du L, Egypte, Cahier No. 14.